# أضـــواء جـــديدة
# عـــلى
# (( ملاح )) فاســـكو دي جاما

دكتور محمد عبد العال احمد

## NEW LIGHTS UPON
## "THE NAVIGATOR" OF VASCO DA GAMA

This study endeavours, as its title may indicate, to seek an answer to the truth about "The Navigator" who guided the Portuguese Fleet that sailed in 1498 from Malindi in East Africa to Calicut in India.

The Portuguese success in discovering the maritime route of The CAPE of The GOOD HOPE-and thus their arrival at India, the main famous source for Spices at that time-was no doubt one of the most outstanding factors that revolutionized the whole history of the world and ushered a new era.

Many Scholars have considered "The Navigator" of the Portuguese explorer and Admiral Vasco Da Gama responsible for the consequences that followed - the destruction of the Arabs and Moslims interests in the area and their shortcoming and failure in confronting the Portuguese or the other Powers that involved later in the movement of modern Colonization.

The Portuguese sources describe that "Navigator" as an Indian Moslim, a native of the city Cambay in the Gujarat State. Those Sources have given that "Navigator" the name of Malemo Canaque.

On the other hand, the French Orientalist FERRAND and those who have followed his line of analysis and thinking, notably among them the Russian Orientalist KRACHKOVSKI and his disciple SHOMOVSKI,

HOURANI and others, have suggested in their writings that, that "Navigator" had nothing to do with India, and he, i.e., the "Navigator" was himself specifically Ahmad bin Madjid the reputed Arab navigator. According to their views on the issue that "Navigator" has been held responsible for the fall of the Arab leadership in the sphere of international trade, their loss of command over the maritime navigation in the Indian Ocean, and finally the expansion of Western Colonialism.

This study, refuting and discussing the various views, is, therefore, an attempt to bring forth the true identification of that "Navigator" and reveal, objectively, the facts regarding his responsibility.

---

بدأ النشاط الصليبي فى الظهور ، وأخذ فى الإشتداد من جديد خلال القرن التاسع الهجرى ( ١٥ م ) ، حتى إذا ما أوشك هذا القرن على الإنتهاء ، كان ذلك الصراع قد بلغ مداه . ففى أقصى الغرب الأوربى ، ركزت مملكة قشتالة على تصفية الوجود الإسلامي فى الأندلس ، وذلك بالقضاء على مملكة غرناطة — آخر المعاقل الإسلامية فيها — وأسفرت هذه الجهود عن سقوط تلك المملكة سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م(١) ، وأجبر المسلمون فيها على الفرار منها ، أو الارتداد عن دينهم واعتناق المسيحية ، تفادياً للتعذيب الوحشى والقتل(٢) .

أما البرتغال ، فقد تجسدت الروح الصليبية فيها ، ولهذا عملت على تطويق العالم الإسلامى (٣) ، وتوجيه الضربة إليه من الخلف ، بعد أن فشلت المواجهات الصليبية الأمامية المتكررة من البحر المتوسط ، فى انتزاع المناطق التى كانوا يسيطرون عليها فى الشام ، وخاصة بعد سقوط آخر معاقلهم فى عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١ م (٤) .

---

(١) السلاوى : الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى — الدار البيضاء ١٩٥٤ — ج ٤ ص ١٠٣ — ١٠٤ ، أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ١٩٦٨ ، ص ٤٦٨ .

(٢) أحمد دراج : المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٦١ . ص ١٠ ، ٧٠ ، ٩٤ — ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١١ — ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٣٤ .

(٣) Macro (E.) : Yemen and the Western World Since 1571, London, 1968, P . I .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة القاهرة ، ج ٨ ص ٨٠

Stevenson : The Crusaders in the East, Cambridge, 1907, pp., 354f.

فبعد أن استولى الملك البرتغالى خوان الأول على سبتة سنة ٨١٨هـ/١٤١٥ م ، وأقطعها لولده الأمير هنرى الشهير بالملاح ، والمعروف بحقده وكراهيته المتناهية للاسلام والمسلمين (١) ، بدأت الجهود البرتغالية التى تبناها هذا الأمير ، وكرس حياته لاكتشاف طريق جديد حول إفريقية لتحقيق أحلامه فى ضربهم . وكانت أولى حملات الكشف البحرية لسواحل غرب إفريقية سنة ١٤١٨ م(٢) .

ومع استمرار الحملات البحرية البرتغالية على طول الساحل الإفريقى الغربى ، تمكن بارثلميو دياز ( Bartholomew Diaz ) من الوصول إلى أقصى نقطة لهذا الجانب من إفريقية ، واكتشاف منطقة ( رأس العواصف ) سنة ١٤٨٧ م(٣) ، وهى التى أطلق عليها ملك البرتغال اسم رأس الرجاء الصالح ، لانفتاح الطريق إلى الهند بعد ذلك على مصراعيه ، مما ساعد فاسكودى جاما ( Vasco de Gama ) على إتمام الدوران بأسطوله حول إفريقية سنة ١٤٩٧ م (٤) ، أى بعد ثمانين عاما من بدء حركة الكشوف .

وبهذا أخذ أمل البرتغاليين يزداد فى إمكان تحقيق أهدافهم الرئيسية ، التى تمثلت فى العمل على السيطرة على مواطن التوابل (٥) ، وفرض الحصار الاقتصادى وخاصة على البحر الأحمر ، كبداية أساسية لانتزاع إحتكار تجارة الشرق من مصر ، وحرمانها من المكاسب الكبيرة التى كانت تشكل الجزء الأكبر من اقتصادها الذى

---

(١) السلاوى : نفس المصدر ، ج ٤ص ٩٢ ، أحمد مختار العبادى : نفس المرجع ، ص ٤٥٥ وما بعدها .

(٢) سونيا هاو : فى طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت ،ومراجعة د . محمود النحاس، الكتاب رقم (٩٨) من مجموعة الألف كتاب ، ص ٩٤—٩٥ .

(٣) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ١٣١—١٣٢ ، بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٩ . ،

Kammerer : La Mer Rouge, L' Abyssinie et L'Arabie depuis L'antiquité Eassai d'hist. et géogr. hist. T. II, p. 75.

(٤) شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ، ترجمة د . أحمد عزت عبد الكريم ، د . توفيق اسكندر ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٤٥ ، بانيكار : نفس المرجع ، ص ١٩ ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، بيروت ١٩٧٢ ، القسم الثانى ، ص ٢٦٦ .

(٥) Ingham (Kenneth) : A History of East Africa, ed. Longman, p. 6.

تعتمد قوتها عليه ، والعمل على الإتصال بالحبشة المسيحية ، وتحقيق التعاون معها من أجل ضرب مصر عسكرياً من الخلف ، والقضاء على المسلمين ومقدساتهم . مما يؤكد أن حركة الكشوف البرتغالية كانت — فى حقيقتها — إمتداداً للحروب الصليبية(١) .

ولما كان كشف البرتغاليين عن أهدافهم فى تلك المرحلة ، من شأنه أن يثير مشاعر العداء ضدهم ، ويهدد بالقضاء على جهودهم وآمالهم ، ويعرضها لأخطار محققة ،لهذا عمل دى جاما على معاملة أهالى المناطق التى يصل إليها بالحسنى ،ولم يلجأ إلى استخدام العنف إلا إذا إقتضت الضرورة ذلك . يتضح ذلك من بعض تصرفاته ؛ فقد حدث أثناء تقدمه على الشاطئ الإفريقى الشرقى ، شمالا ، أن وجد قارباً عند موزمبيق ، على متنه بعض الزنوج وأحد البحارة ، ظنه البرتغاليون فى بداية الأمر من المغاربة ، فلما إقتربت السفن البرتغالية ، هرع الزنوج وألقوا بأنفسهم فى البحر وفروا إلى الساحل ، أما البحّار فقد تم نقله إلى سفينة القيادة البرتغالية ، حيث أحسن دى جاما استقباله ، واكتشف أن الرجل هندى ، وليس عربياً مغربياً ، وأنه من أهل كمباى ( Cambay ) بالهند ويدعى داڤان ، وقد إتخذه دى جاما مستشاراً له ، لأنه كان خبيراً بالتوابل ومن تجارتها . وقد وافق هذا الملاح على مرافقة البرتغاليين إلى الهند ، وتعهد بتزويدهم بحمولة من التوابل نظير توصيله إلى بلاده (٢) . وفى ميناء موزمبيق ، كان وصول الأسطول البرتغالى ، فى وقت كانت فيه أربع سفن محملة بالتوابل وغيرها من بضائع الهند راسية فى الميناء ، فلم يتعرض البرتغاليون لها بسوء ، بل على العكس من ذلك ، فقد استضاف دى جاما طاقم هذه السفن الهندية . وقدمت لهم الأنبذة ، التى قيل أن إقبالهم عليها كان كبيراً (٣) . كما استجاب شيخ موزمبيق لطلب دى جاما ، وزوده باثنين من المرشدين ، إلا أنهما تمكنا من الفرار والعودة عندما تأكدا أن البرتغاليين من المسيحيين ، مما أدى إلى

---

(١) Serjeant (R.B.) : The Portuguese off the South Arabian Coast, Oxford, 1963, p. 2.

(٢) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ١٩٢—١٩٣

(٣) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ١٩٣، ١٩٥ .

إستخدام البرتغاليين العنف ضد الأهالى (١) . ولهذا لم يغامر دى جاما بالرسو بأسطوله فى منبسة ، عندما شك فى إحتمال قيام ملكها بتدمير سفنه وإغراقها إنتقاماً لما فعله ضد أهالى موزمبيق(٢) .

ولما وصل البرتغاليون بعد ذلك إلى ميناء مالندى ــ الواقعة حالياً فى كينيا ــ لقى دى جاما فيها ترحيباً من ملكها ، خوفاً أو ضعفاً (٣) . فلما عزم على مغادرتها بعد عدة أسابيع ، طلب من صاحبها إمداده بملاح يرشده إلى الهند ، فاستجاب له الملك وأمده بملاح ماهر ،قاد أسطوله إلى قاليقوط ،فوصلها فى مايو سنة ١٤٩٨(٤) .

وعلى عاتق هذا الملاح ، ألقى البعض مسئولية وصول البرتغاليين إلى الهند ، وما ترتب على ذلك من نتائج . ولا شك أن هذا الحكم جاء غاية فى القسوة ، وهو بعيد كل البعد عن التفسير العلمى السليم ، ذلك أن البرتغاليين تستروا ــ خلال تلك الفترة ــ بالواجهة التجارية ، ولم يكشفوا عن أهدافهم الحقيقية ، ولهذا كان من السهل عليهم العثور على من يتعاون معهم ، طالما كانت معاملتهم حسنة ، وتكفلوا باعطاء الأجر المناسب . وإذا كان البعض قد امتنع عن التعامل معهم ، أو لجأوا

---

(١) Strandes (J.) : The Portuguese Peroid in East Africa, trans. by Wallwork, Nairobi, 1961, pp. 21—24.

(٢) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ١٩٥–١٩٦ .

(٣) The History of Kilwa, ed. from an Arabic MS. by Arthur Strong, (J.R.A.S.), London, 1895, pp. 397, 428.

(٤) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقية الشرقية ، نقله إلى العربية يوسف كمال ، الطبعة الأولى ١٩٢٧ ، ص ٢٠٩ ، سونيا هاو : فى طلب التوابل ، ص ١٩٧ ، كراتشكوفسكى تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، ١٩٦٥ ، القسم الثانى ، ص ٥٧٣ جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة د . يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٣٧ ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، سلسلة أعلام العرب ، العدد ٦٣ ، مارس ١٩٦٧ ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (١٣) ، يناير ١٩٧٩ ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٧٠ ، Strong : op. cit., pp. 397, 428, Ferıand : Introduction à l'astronomie nautique Arabe, Paris, 1928, pp. 183–184, Le Pilote Arabe de Vasco de Gama et les instructions nautiques des arabes au XVe siècle, Annales de Géographie, Paris, 1922, p. 292.

إلى الهرب والفرار عندما اكتشفوا أنهم مسيحيون ، فإن ذلك لم يكن عند البعض الآخر سبباً كافياً لانتهاج هذا المسلك معهم ، إذ لم تخل منطقة شرق إفريقية أو الهند من المسيحيين الذين كانوا يعيشون جنباً إلى جنب مع مسلمى تلك المناطق . ومن ناحية أخرى ، فإنه لو لم يتيسر لفاسكودى جاما الحصول على الملاح المنشود ، فلن يكون ذلك — بالطبع — نهاية للمجهود البرتغالية ، بل من المؤكد أن تلك المحاولات كانت ستستمر مهما كانت التضحيات ، إذ كيف يقضى البرتغاليون ثمانين عاماً دون كلل أو ملل فى أعمال الكشوف للسواحل الإفريقية ، معتمدين على أنفسهم وخبراتهم البحرية وما اكتسبوه من خبرات تدريجية خلال عمليات الكشوف حتى توصلوا إلى الساحل الإفريقى الشرقى — وهى مرحلة من أصعب المراحل — ثم يتوقفوا بعد ذلك ، لمجرد إمتناع المرشدين عن قيادة أسطولهم إلى الهند ؟ . وحتى لو سلمنا جدلا بإمكان مقاطعة الملاحين لهم ، فقد كان فى الإمكان الإهتداء ببعض السفن المتجهة — فى موسمها — إلى تلك المنطقة ، واقتفاء أثرها دون كبير عناء ، أو اختطاف الملاحين وإجبارهم على إرشادهم بالقوة .

والموضوع الذى نعرض له بالمناقشة فى هذا المجال يتعلق بمحاولة التعرف على ملاح فاسكو دي جاما وجنسيته .

ويعتبر النهروالى ، أول من أشار — من المؤرخين العرب — إلى موضوع الملاح وحدد إسمه ، قال :

« وقع فى أول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول الفرتقال [ البرتغال ] اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند . وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة فى البحر ، ويلجون فى [ بحر ] الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من جبال القمر . . . ويصلون إلى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل فى مضيق ، أحد جانبه جبل ، والجانب الثانى بحر الظلمات ، فى مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائنهم وتنكسر ولا ينجو منهم أحد . واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون فى ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند ، إلى أن خلص منهم غراب إلى الهند ، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج — وكان

يقال له الى ملندى – وعاشره فى السكر ، فعلّمه الطريق فى حال سكره ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا فى البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج . فلما فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم . فكثروا فى بحر الهند . . . وصارت الامداد تترادف عليهم من البرتغال . فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعم اذاهم على المسافرين »(١) .

وعلى هذا النص اعتمد المستشرق الفرنسى جبرييل فران ( G. Ferrand ) فيما ذهب إليه ، من أن أحمد بن ماجد العربى المسلم هو الملاح الذى قاد أسطول فاسكو دى جاما من مالندى إلى موطن التوابل فى قاليقوط (٢) . وبذلك حمله أصحاب هذا الرأى وزر ما ترتب على ذلك العمل من نتائج ضد المصالح العربية والإسلامية(٣)، بعد أن تمكن البرتغاليون من سرعة تثبيت وجودهم وسيطرتهم ، ولم يتمكن العرب من التصدى لهم ، أو لمن جاء بعدهم من العناصر الأوربية الأخرى أو منافستهم(٤) .

فى حين ينفى آخرون تورط ابن ماجد المسلم التقى الورع فى معاونة البرتغاليين الصليبيين ، ويستبعدون أن يتسبب ملاح عربى كبير مثله فى تسهيل تثبيت الوجود البرتغالى فى المنطقة ، والقضاء على الملاحة العربية فى المياه الشرقية . وقد إستند أصحاب هذا الرأى على عدم تعرض المصادر العربية المعاصرة للاشارة إلى ابن ماجد ، سواء بالتصريح أو التلميح (٥) . إذ أن النهروالى ( ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢ م ) متأخر

---

( ١ ) البرق اليمانى فى الفتح العثمانى – أشرف على طبعه حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ – ص ١٨–١٠٩ ، وقارن ، الشبلى اليمنى : المنتا الباهر بتكميل النوز السافر فى أخبار القرن العاشر ، مخطوط رقم ٢٠٢٣ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ، ص ٧–٨ ، ( فعلى الرغم من أن الشبلى لم يشر إلى النقل عن النهروالى ، الا أنه يتضح بالمقارنة اعتماده عليه والنقل حرفياً عنه ) .

( ٢ ) Ferrand : Le Pilote Arabe de Vasco de Gama; pp. 290—307, Art. Shihab AL-Din, in ENC. of Islam, vol. IV, p. 368,

( ٣ ) شوموفسكى : مقدمة كتاب ( ثلاث أزهار فى معرفة البحار ، لابن ماجد ) ترجمة د . محمد منير مرسى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٩ .

( ٤ ) جورج فاضلو حورانى : نفس المرجع ، ص ٢٣٧ .

( ٥ ) أنظر ، أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص ١٣٢ . ( حيث عدل

كثيراً ، ثم أنه لم يوضح المصدر الذى اعتمد عليه فيما أورده . يعزز ذلك أن المصادر البرتغالية التى أرخت لتلك الحوادث ، قد نصت على غير ذلك ، ولم تذكر شيئاً عن اتصال فاسكو دى جاما بابن ماجد .

وفيما بين الإثبات والنفى ، أصبح موضوع ابن ماجد قضية ، يتمسك كل طرف فيها برأيه ويتحمس له ، فى حين يحاول آخرون هدم القضية من أساسها ، بإنكار وجود ملاح عربى بهذا الإسم .

على أن الأمر ليس اجتهاداً فى توجيه إتهام باطل ، أو نفى حقيقة ثابتة ، وإنما المفروض أن تستهدف الدراسات والبحوث التاريخية الوصول إلى الحقائق المجردة ، أو الاقتراب منها قدر المستطاع ، مع تدعيم ما يتم التوصل إليه بالأدلة والبراهين ، مع بيان الظروف التى أحاطت بالواقعة أو الوقائع ، والأسباب التى أدت إليها ، مما يضع الأمور فى نصابها دون أدنى خجل ، ومهما كانت النتائج موسفة . إذ لا يجب أن ينصب الاهتمام على نقاط معينة من التاريخ دون غيرها ، كما أنه ليس من الضرورى أن تكون الحوادث الهامة ، أو ما يمكن وصفه بالجانب المشرق للتاريخ ، هو وحده الذى يثير الاهتمام أو تقتصر الدراسات عليه ، فالتاريخ بحوادثه المختلفة — المشرقة أو غير المشرقة أو الموسفة — كل لا يتجزأ ، عظة وعبرة . وليس الأمر مبازاة أو مناظرة يتهد كل طرف فيها باقناع الطرف الآخر — بالحق أو الباطل — بوجهة نظره . وفيما يتعلق بموضوعنا ، فإنه لا يجب أن يبلغ الإشتطاط إلى حد إنكار وجود أحمد بن ماجد . إذ أنه من الواضح أن أصحاب هذا الرأى إنما يستهدفون تخليص العرب — ممثلين فى إبن ماجد العربى المسلم — من تهمة قيادة الأسطول البرتغالى ، وما يترتب على ذلك من آثار .

فابن ماجد ، حقيقة واقعة لا مراء فيها . فهو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبى معلق

---

=عن رأيه السابق ) . قارن كتابه ، إبن ماجد الملاح ، ص ٧ ، ٥١—٥٢ . ( واعتبر أن موضوع قيادة إبن ماجد للأسطول البرتغالى ، ماهو إلا أسطورة روج لها كل من جابرييل فران والمستشرق الروسى تيودور شوموفسكى من بعده ) . ويقرر الدكتور عبد العليم ، : « بكثير من الثقة والاطمئنان بأن إبن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحى لمراكب دى جاما ، ولا لغيره من الأميرالات البرتغاليين ».

السعدى بن أبى الركائب النجدى (١) . وهو وإن كان أصلا من نجد الحجاز ، إلا أنه ولد وشب فى ظفار بعمان ، وهو سليل أسرة عريقة فى الملاحة ، ضليعة فى علوم البحار ، فقد كان أبوه وجده من الملاحين المشهورين (٢) ، وقد سجل والده تجاربه البحرية فى مصنف ضخم أطلق عليه « الأرجوزة الحجازية » ، فى وصف الملاحة فى البحر الأحمر ، فعرف بـ « ربان البرين » (٣) ( أى العربى والإفريقى للبحر الأحمر ) .

ولهذا ، فلم يكن غريباً أن يبرع ابن ماجد ، ويعلو نجمه فى هذا المضمار ، حتى أصبح فريد عصره فى هذا الفن ، وقد نيفت مؤلفاته على الثلاثين (٤) . فيها من التواريخ ما يثبت تواجده فى ذلك العصر بالتحديد .

وهكذا حاز إبن ماجد شهرة كبيرة استمرت إلى ما بعد عصره بقرون ، فقد شاهد الرحالة الانجليزى ريتشارد برتون (٥) ( Richard F. Burton ) عند رحيله من بندر المعلّى فى عدن سنة ١٨٥٤ ، أنّ ملاحى عدن كانوا يقرأون الفاتحه على روح إبن ماجد كلما أقلعوا منها إعترافاً بفضله (٦) ؛ إذ استمر الإعتماد على

---

( ١ ) شوموفسكى : نفس الدراسة ، ص ٧٧–٧٨ ، ٩٥ ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ص ١٢ ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٣٩ ، وأنظر ، محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية القاهرة ١٩٥٠ ، ج١ ص ٣٣٩ ( حيث لقب إبن ماجد بـ « البصرى » ) .

Ferrand : Art. Shihab AL-Din Ahmad B. Madjid, p. 365.

( ٢ ) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، القسم الثانى ، ص ٥٧٣ ،

Ferrand : Introduction a l'astronomie nautique Arabe, pp. 221—222, L'élément Persan dans les textes nautiques Arabes des XVe et XVIe siecles, (J.A., vol. 204, 1924), pp. 197—209.

( ٣ ) كراتشكوفسكى : نفس المرجع والصفحة ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ١٣ ،

Ferrand : Art. Shihab AL-Din, p. 365.

( ٤ ) شوموفسكى : الدراسة التاريخية ، لكتاب ( ثلاث أزهار ) ، ص ٧٧ ، وأنظر ، أنور عبد العليم : نفس المرجع ، ص ٦٤ ( حيث ذكر أن مؤلفات ابن ماجد بلغت الأربعين ) .

( ٥ ) First Footsteps in East Africa or an Exploration of Harar, (London, 1865, p. 3f.

( ٦ ) كراتشكوفسكى : نفس المرجع والصفحة ، أنور عبد العليم : نفس المرجع ، ص ٢٦ ،

Ferrand. Introduction a l'astronomie Arabe, pp. 227—228, & Art. Shihab AL-Din Ahmad B. Madjid, p. 368.

مصنفاته إلى ما بعد ذلك ، وأنه كان معروفاً أيضاً فى الهند وجزر الملديف فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فقد ذكر جيمس برنسب ( James Prinsep ) أنه كان يبحث عن بوصلة عربية ، فلما أخفق فى مسعاه ، قدّم له أحد أصدقائه الملديفيين رسماً لها ، انتزعه له من إحدى المخطوطات لإبن ماجد ، وقد فضّل الناخوذة — الذى كان المخطوط فى حوزته — قطع ورقة الخريطة ، لأنه لم يكن يستطيع الاستغناء عن المخطوط أو التفريط فيه لأهميته(١) .

هذا فيما يتعلق بإثبات حقيقة وجود شخصية إبن ماجد . أما فيما يختص بنفى قيامه بقيادة أسطول فاسكو دى جاما إلى الهند ، فإن أصحاب هذا الرأى يعتمدون — بالإضافة إلى ما وجهوه من نقد لرواية النهروالى — على ما ذكرته المصادر البرتغالية من أن ملاح فاسكو دى جاما ، كان رباناً مسلماً من كجرات بالهند (٢) ، تعرّف عليه دى جاما فى مالندى . وذكرت تلك المصادر أن هذا الملاح هو : ( معلم كانا Malem Cana ) (٣) ، أو ( معلمو كاناكا Malemo Canaque ) (٤) ، أو

---

(١) Ferrand : Art. Shihab AL-Din, p. 368.

(٢) Barros .: The Book of Duarte Barbosa, ed. M. Longworth Dames, Hakl. Soc., 1921, II, pp. 61f, Pearce (F.B.) : Zanzibar, The Island Metropolis of Eastern Africa, 1967, p. 59.

(٣) كراتشكوفسكى : نفس المرجع ، ص ٥٦٣ ، شوموفسكى : نفس الدراسة ، ص ٨٥–٨٦ ، أنور عبد الحليم : الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ،

Joào da Barros : Decade Primeira de Asia (The little ed. 1778), BK. IV., ch. VI, pp. 319f, Pearce : op. cit., p. 97.

(٤) كراتشكوفسكى : نفس المرجع ، ص ٥٦٩ ، شوموفسكى : نفس الدراسة ، ص ٨٦ ، ألدو ميلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ومحمد يوسف موسى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٥٣٣ ، أنور عبد العليم : المرجع السابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ابن ماجد الملاح ، ص ٤٨ ، ٤٩ ،

Castanheda : Hitoria do descrobimento e Conquista da India pelos Portuguezes, 1833, BK. I, p. 41. Damiao de Goes : Chronica do Serinssimo Rei D. Manuel, Coimbra, 1790, vol. I, ch. XXXVIII, p. 87, Ferrand : op. cit., 83f, Strandes : op. cit., p. 30, Ingrams ( W. ) : Zanzibar, its history and its people, (London, 1931) p. 97.

( كاناجا Canage ) أو ( كاناك Kanak ) (١) . وأن هذا الربان هو الذى دل دى جاما ، وأوصل سفنه إلى ميناء قاليقوط الهندى . واستناداً على ذلك ، يكون الملاح هندياً وليس عربياً ، مما ينفى قيام أحمد بن ماجد بهذه المهمة .

غير أن هذه الألفاظ التى أطلقتها تلك المصادر على هذا الملاح ، تبدو غامضة للوهلة الأولى ، فكلمة ( معلمو Malemo ) ، كلمة سواحيلية مأخوذة عن الأصل العربى ( معلم ) (٢) ، وهى تعنى ( الأستاذ ) . واستخدمت لدى ملاحى تلك الفترة بمعنى ( الريس ) أو ( الربان )(٣) .

أما كلمة ( كانا Cana ) أو ( كاناكا Canaque ) ومترادفاتهما، فيذكر المستشرق الفرنسى فران ( Ferrand ) أنها كلمات مستخدمة فى مليبار ، وهى ترجع إلى الأصل السنسكريتى ( Ganaka ) أى ( الحاسب ) أو ( المنجم ) (٤) . وعلى ذلك يكون اصطلاح ( معلمو كانا ) أو ( كاناكا ) بمعنى الملاح أو الربان المتمرس فى الملاحة الفلكية(٥) ، أى الذى يسترشد بالنجوم(٦) .

وربما تكون الكلمة مأخوذة عن ( جنك Junk ) وجمعها ( جنوك ) ؛ وهو الإسم الذى عرفت به المراكب الصينية الضخمة (٧) . وعلى ذلك يكون المقصود

---

(١) Kammerer : La Mer Rouge, p. 75.

(٢) كراتشكوفسكى : نفس المرجع ، ص ٥٦٩ ،

Ferrand : op. cit., pp. 182f, Le Pilote Arabe de Vasco de Gama, p. 292, n.2.

(٣) شوموفسكى : نفس الدراسة ، ص ٨١ .

(٤) Ferrand : Art. Shihab AL-Din (Ency. of Islam) vol IV, p. 363.

(٥) كراتشكوفسكى : نفس المرجع ، ٥٦٩—٥٧٠ ، ألدو ميلى : العلم عند العرب ، ص ٥٣٣ ، ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٤٩ ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٢٧ ،

Ferrand : Le Pilote Arabe de Vasco de Gama, p. 292, Kammerer : La Mer Rouge, p. 75.

(٦) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ١٩٧ .

(٧) الجنوك ، سفن كبيرة ضخمة ، ذات أربعة ظهور فيها البيوت ( الغرف ) والمصارى ( غرف النوم ) والغرف للتجار ، وهذا النوع من السفن مجهز باثنى عشر قلعاً ، ونحو عشرين مجذافاً كبيراً كالصوارى ، يجتمع على الواحد منها العشرة والخمسة عشر رجلا ، ويجذفون بها وقوفاً صفين=

ملاح أو ربان الجنك . وباعتبار أن تلك المراكب من أضخم المراكب العاملة فى بحار الصين والهند ومياه جنوب الجزيرة العربية ، وشرق افريقية ، وأن ربان تلك السفن من شأنه أن يكون ذا خبرة كبيرة بالمياه الشرقية إلى بلاد الصين(١) . وإذا

---

=متقابلين، وفى كل مجذاف حبلان عظيمان . ويخدم فى المركب الواحد ألف رجل ، منهم ستمائة من البحارة وأربعمائة من المقاتلة ( أنظر ، ابن بطوطة : تحفة النظار ، القاهرة ١٩٣٨ ج ٢ ص ١١٦ ، ١٥٧ ١٦١–٦٢ ، درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، طبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٤ ص ٢٩–٣٠ .

Kindermann (H.) : Schiff im Arabischen untersuchung Uber Vorkommen und bedeutung der Termini, Zwickau, i, sa, 1934, pp. 20f, Dozy (R.) : Supplément Aux Dictionnaires Arabes, ( Reproduction de l'Edition Originale De 1881) Beyrouth 1968, T.I, p. 225.

( ١ ) عرفت الجنوك الصينية طريقها – منذ زمن طويل – إلى عدن وغيرها من موانى منطقتى جنوب الجزيرة العربية وشرق إفريقية ، وشاركت غيرها من مراكب الهند والسند وكرمان وفارس وعمان فى نقل السلع والبضائع من وإلى موانى تلك المناطق ( ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ١٣٠٩ هـ ، ص ٥٦ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ ، ص ٧٨ ، الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليبزج ، ١٩٢٣ ، ص ٢١٦) وكانت عدن تمثل حلقة الوصل، ومركز التبادل التجارى بين بلدان الشرق ومصر عبر البحر الأحمر . ونشطت الحركة التجارية نتيجة اهتمام سلاطين اليمن بها ، مما كان له أعظم الأثر فى ازدهار حركة التجارة العالمية فى عدن والبحر الأحمر ، وقد استمر الأمر على ذلك بصفة عامة حتى القرن التاسع الهجرى (١٥م) ، فمع بداية العقد الثالث من ذلك القرن ، تغيرت سياسة سلاطين اليمن ، وتعسفوا مع التجار ، وأساءوا معاملتهم ، واضطر المقيمون فيها من التجار إلى الفرار منها إلى جده والهند وملبيار ،تخلصاً من تلك المظالم ( باخرمة : قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر – مخطوط بمكتبة يني جامع بالآستانة رقم ٨٨ مصور بدار الكتب برقم ١٦٧ تاريخ ، ج٣ ، ص ١١١٣ ، تاريخ ثغر عدن ، تحقيق أوسكار لوفغرين ، ، ليدن ١٩٣٦ –١٩٥٠ ، ج ١ ص ١٢ ) ، وكان ذلك سبباً لما قام به أحد تجار الهند من التوجه رأساً– ولأول مرة إلى باب المندب سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢ م لتحقيق التعامل المباشر مع جدة ، وبعد عدة محاولات ، تكللت جهوده بالنجاح ، بعد اقتناع السلطان برسباى وترحيبه بهذه الفرصة التى سنحت له بالتعامل مباشرة مع تجار الشرق ، مما أدى إلى انقطاع وصول المراكب إلى عدن ( باخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ص ١١٠٢، الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، القاهرة ١٩٥٦ ، ج٢ ص ٢١٠ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق سعيد عاشور ١٩٧٠–١٩٧٢ ، ج ٤ ص ٦٨١ ، ٧٠٧–٧٠٨ ، ابن شاهين الظاهرى : كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس رافيس ، باريس ١٨٩٤ ، ص ١٤ ، ابراهيم على طرخان : مصر فى عصر المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، أحمد دراج : إيضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الأحمر منذ مطلع=

كانت الجنوك صينية الصنع ، إلا أن امتلاكها أو العمل عليها ليس قاصراً على الصينيين(١) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن ما أطلقته المصادر البرتغالية ليس إسماً لملاح فاسكو دى جاما ، وإنما صفة لمهنته أو خبرته وتعريفاً بها .

وقد أخذ كراتشكوفسكى بما ذهب إليه فران ( Ferrand ) من تفسير ما اطلقته المصادر البرتغالية ، من أن الملاح ( مسلم من كجرات ) ، أن ذلك لا يعنى جنسيته أو موطنه ، وأن المقصود هو خبراته البحرية ، النظرية والتطبيقية أو العملية الكبيرة ، المتعلقة بصلته وارتباطه بالهند ، من حيث كثرة تردده عليها .

---

=القرن التاسع الهجرى ، محاضرات الجمعية التاريخية ، ١٩٦٨ ص ١٨٧؛ Lane-Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1936, p. 310, Wiet (G.) : Historire de la Nation Egyptienne, T. IV, (L'Egypte Arabe) Paris, 1937, pp. 573—576).
وتحولت السفن مباشرة إلى جدة التى ازدهرت وارتفع شأنها وأصبحت بندرا عظيما ، واحتلت مكانة عدن التى تأثر مركزها التجارى ، وتدهورت أحوالها ، أما بالنسبة للمراكب الصينية ( الجنوك ) فقد بعث ملك الصين سفارة إلى سلطان اليمن الناصر أحمد الرسولى سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠ م لاقناعه بضرورة حسن معاملة التجار ( الخزرجى : العسجد المسبوك – مخطوط – ص ٥٨٥ – ٥٨٦ ، ابن الديبع : قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون – مخطوط – ورقة ١١١ أ ، بغية المستفيد فى أخبار زبيد – مخطوط ص ٧٨ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى – تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٦٥ ) وقد بلغ من ضعف عدن أنه لم يمكن تصريف حمولة سفينتين صينيتين سنة ٨٣٥هـ–١٤٣٢م فاضطر ربانها إلى مراسلة ناظر جدة الذى اذن له فى الوصول ( المقريزى : السلوك ، ج ٤ ص ٨٧٢–٨٧٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، طبع دار الكتب ، ج ١٤ ص ٣٦٢
De la Roncière (Ch.) : Le découverte de l'Afrique au Moyen Age, Le Caire, 1925—27, T. II, p. 118, Lewis (B.) : Egypt and Syria ( The Cambridge History of Islam,) Camb. 1970, vol. I,p. 224).
فكانت تلك هى المرة الأولى التى وصلت فيها الجنوك الصينية إلى البحر الأحمر ،وبداية التعامل المباشر بين ميناء جدة والصين .

( ١ ) ذكر ابن بطوطة « أن من أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة ، يبعث بها وكلاءه إلى البلاد » ثم أشار إلى الجنوك الثلاث عشر التى كان يمتلكها صاحب قاليقوط ، وكان وكيل أحد هذه الجنوك رجل من أهل الشام يدعى سليمان الصفدى ( تحفة النظار ، ج٢ ص ١١٧ ) كما أشار إلى أنه عندما أراد العودة من ميناء الزيتون بالصين إلى الهند وجد جنكا « للملك الظاهر صاحب الجاوة ، أهله مسلمون » ( نفس المصدر ، ج٢ ص ١٧٢ ) .

أما عن تلقيبه بالكجراتى ، فربما لكون كجرات كانت مركزاً لعملياته البحرية (١) وكنتيجة لهذا التفسير ، فإن هذه الخاصية تنطبق على أحمد بن ماجد « رئيس علم البحر » علمياً ، و« أسد البحر » عملياً فى تلك الفترة . لذلك رأى فران ( Ferrand ) أن ابن ماجد هو الذى أرشد دى جاما ، وأوصله إلى الهند ، ويدعم رأيه — كما سبق أن ذكرنا — باعتماده على نص النهروالى ، الذى ذكر الإسم صراحة .

على أنه من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية ، أو الاقتراب منها ، نرى أن ذلك يستوجب العودة إلى نص النهروالى ، نتأمله كله ، أو الجزء الأخير منه على الأقل ، فى محاولة للتعمق فى فهمه وتحليله قدر الطاقة. فقد أشار هذ المؤلف إلى المتاعب التى تعرض البرتغاليون لها ، ثم استطرد موضحاً ومؤكداً عجزهم عن التوصل لمعرفة الطريق إلى الهند ، وجهلهم أسرار الملاحة فى تلك المياه ، وأن الفضل إنما يرجع إلى الملاح العربى أحمد بن ماجد فيما تحقق لهم من الوصول إلى مواطن التوابل ، وقال :

« فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهّم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج — وكان يقال له ، الى ملندى — وعاشره فى السكر ، فعلمه الطريق فى حال سكره . وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا فى البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج . فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من سفنهم » .

ولا شك أنه من الضرورى — قبل الخوض فيما حدده النهروالى عن ابن ماجد — تفسير أو نقد بعض النقاط ، وتحديد مفاهيمها ، مما يساعد على توضيح النص والوصول إلى المعنى الحقيق أو التقريبى الذى استهدفه المؤلف .

فقد حددت المصادر البرتغالية — كما سبق أن ذكرنا — أن فاسكو دى جاما تعرّف على ملاحه فى ميناء مالندى (٢) ، فى حين لم يشر النهروالى إلى مكان هذا

---

(١) كراتشكوفسكى : نفس المرجع ، ص ٥٧٣ ،

**Ferrand : Introduction a l'astronomie nautique arabe, p. 228, l'Element Persan dans les textes nautique arabes, p. 194.**

(٢) أنظر ما سبق ص ١٥٧ ، ١٦٢ .

اللقاء ، وأطلق — فى نفس الوقت — كلمة ( الى ملندى ) على كبير الفرنج ، وهى كلمة تبدو غير عربية ، إلا أنها تشبه إسم المدينة ، مما قد يثير نوعاً من الشك حول حقيقة هذه الكلمة عند النهروالى ، لاحتمال وقوع خلط عنده بين إسم المدينة وإسم القائد أو لقبه . إلا أنه يمكن القول بأن المقصود فعلا بهذا التعريف هو ( كبير الفرنج ) دى جاما ، وليس المدينة ؛ فقد ذكر فران ( Ferrand ) أن كلمة ( الى ملندى ) أو ( الأملندى ) ما هى إلا تحريف للفظ البرتغالى ( الميرانتى Almirante ) (١) الذى يقابل فى الإنجليزية ( Admiral ) (٢) ، أى أمير ال أو أمير البحر . إلا أن الاختلاف قد يبدو كبيراً بين كلمتى (الى ملندى) و ( الميرانتى ) ، غير أنه بالرجوع إلى تاريخ كلوة ، المعروف باسم « السلوة فى أخبار كلوة » نجد أنه عندما تعرّض لذكر أخبار وصول البرتغاليين إلى ميناء مالندى يقول : « وإسم ناخذاهم المرتى » (٣) ، وعلى ذلك يكون المقصود فعلا بهذه الإشارة هو القائد البرتغالى ، وكلمة ( المرتى ) وإن بدت مختلفة ومحرّفة عما ذكره النهروالى ، إلا أنها أقل تحريفاً بالنسبة للفظ البرتغالى ، وتتفق تحديداً ومعنى معه ، مما يدل على أن الكلمة لم يقصد بها إسم المدينة ، وإنما كانت لقباً بحرياً كان فاسكو دى جاما يحمله على ما يبدو .

أما ما ذكره النهروالى عن ابن ماجد ، وأن كبير الفرنج « عاشره فى السكر » ، فإنه وإن كان معروفاً أن كثيراً من البحارة ، قد درجوا — فى كل زمان ومكان — على شرب الخمر ، إلا أنه نظراً لما هو معروف عن تدين ابن ماجد ومتانة خلقه وعفته — وهو ما يظهر جلياً فى مؤلفاته (٤) — فإن تهمة تعاطى ابن ماجد الخمر

---

( ١ ) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى ، ص ٥٧٠ ، ٥٧١ ، شوموفسكى : نفس الدراسة ، ص ٨٧ ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٥٠ ، ٥٢ ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص ١٢٨ .

Ferrand : Introduction a l'astronomie nautique Arabe; pp. 188 f, Art. Shihab Al-Din Ahmad B. Madjid (ENCY. of Islam), Vol. IV, p. 362.

( ٢ ) Lamb (N.J.) : Collins Portuguese Gem Dictionary, 1974.

( ٣ ) Strong : The History of Kilwa, pp. 396, 398, 427, 428.

( ٤ ) أنظر ، أحمد بن ماجد : ثلاث أزهار ، ص ١٨ ، ٥٢ ، ٦٨ ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٥٢ ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٣٣ .

تكون مستبعدة ، إذ قد يكون النهروالى قد وضعها لتبرير قيامه بتعريف البرتغاليين أسرار الطريق إلى الهند(١) . كما أنه لا يعقل أن يتولى ابن ماجد قيادة الأسطول البرتغالى ، وهو فى حالة سكر مستمرة ، قرابة شهر من الزمان ، وهى الفترة التى استغرقتها الرحلة من مالندى إلى قاليقوط(٢) .

وفيما يتعلق بما ورد فى النص، من أن ابن ماجد « دلهّم » إلى معرفة هذا البحر ، بعد أن « صاحبه كبير الفرنج » ، فإن كلمة ( دل ) هنا ، لا تعنى قيادة سفنهم ، بل هى بمعنى ( أشار عليهم ) أو ( وضّح لهم ) ما كان مستغلقاً عليهم . أما كلمة « صاحبه » ، فهى بمعنى ( قرّبه ) وأظهر المودة نحوه، وعمل على اكتساب صداقته .

وإن نظرة إلى النص ، لكافية لتأييد هذا التفسير ، فكلمة « صاحبه » وضّحها النهروالى بعد ذلك بكلمة « عاشره »، أما كلمة دلّه أو « دلهّم » ، فجعلها بمعنى « علّمه » أو علّمهم . يؤكد هذا التفسير ويدعمه ما أورده المؤلف نفسه ، عندما حصر عمل ابن ماجد فى القول دون القيادة ، وهو ما يتضح من قوله ، أن ابن ماجد « قال لهم ، لا تقربوا الساحل ... وتوغلوا فى البحر ، ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج . فلما فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من سفنهم » .

وبهذا يتحدد أن ما قام به ابن ماجد — طبقاً لنص النهروالى — ينحصر فى تعليم البرتغاليين الطريق قولا ووصفاً ، وليس عملا وقيادة ، أى أن الأمر لم يتعد مجرد إبداء النصح وتقديم المشورة ، وإمدادهم بالمعلومات التى من شأنها تسهيل مهمة الوصول إلى الهند .

وبهذه المناسبة ، فإنه لا بأس من وقفة عند موضوع السكر مرة أخرى ، إذ لو صح ما أشار إليه النهروالى فى هذا الصدد ، لكان دليلا على رفض ابن ماجد التصريح بسر الطريق ، وأنه لم يبح به إلا بعد أن أجبره دى جاما على شرب الخمر ، أو أنه استطاع — عندما قدمها له — إقناعه بأن ذلك ما هو إلا شراب وطنى مفيد،

---

(١) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى ، ص ٥٧١ ،

Ferrand : Art. Shihab Al-Din, p. 362.

(٢) شوموفسكى : الدراسة التاريخية ، ص ٨٦ .

فشربه ابن ماجد دون أن يدرك حقيقته ، ربما لأن مذاقه لم يثر الشك فى نفسه(١) . فلما لعبت الخمر برأسه وفقد سيطرته ، أصبح من السهل على فاسكو دى جاما إنتزاع السر منه .

وإذا كان ابن ماجد قد أشار إلى الإفرنج ( البرتغاليين ) فى مؤلفاته ، وبالتحديد فى « الأرجوزة السفالية » (٢) ، إلاّ أنه لم يضمنها ما يمكن الاستناد إليه ، أو الحكم بموجبه بأنه هو الملاح الذى قاد الأسطول البرتغالى ، أو حتى مجرد الاتصال بفاسكو دى جاما . إلا أنه ليس من المستبعد أن يكون قد قام بزيارة للأسطول البرتغالى فى ميناء مالندى ، لسبب أو أكثر مما يلى :

١ ــ قد تكون الزيارة استجابة لدعوة دى جاما ، الذى عمل خلال تلك الرحلة على توطيد أواصر الصداقة مع الوطنيين ، أو أطقم السفن التى يجدها فى الموانى التى يرسو بأسطوله فيها . فكان يدعو سلاطين أو حكام تلك الموانى ، وأطقم السفن الراسية فيها ، فيحتفى بهم ويكرمهم (٣) ، ويعمل على التقرب إليهم ــ وهى سياسة سار البرتغاليون عليها خلال تلك المرحلة ــ من أجل إدخال الطمأنينة فى نفوس من يتعامل معهم فى تلك المناطق ، واكتساب ثقتهم وضمان عدم التعرض لمقاومتهم ، مما يساعد على تسهيل مهمته .

٢ ــ أو أن الزيارة كانت مجاملة من ابن ماجد لصديقه ملك مالندى الذى رحّب بالبرتغاليين(٤) خوفاً أو ضعفاً(٥) ، أو أن ملك مالندى كان يهدف إلى

---

( ١ ) أشارت سونيا هاو ، إلى أن دى جاما كان قد استضاف عند وصوله إلى موزمبيق بعض تجارة أطقم السفن التى كانت رأسية فى الميناء ، ودعاهم إلى مأدبة على ظهر إحدى سفنه ، وقدم لهم « أجود الأنبذة التى أقبل الضيوف عليها باستحسان » ( فى طلب التوابل ، ص ١٩٣ ) مما يدل على أن مذاقها لم يكن مألوفاً لديهم ، أو أنه كان مقبولا ، مما يبرر ما قد يكون من إقبال ابن ماجد عليها ــ إذا كان ذلك قد حدث فعلا ــ دون أن يشك فى أمرها .

( ٢ ) أحمد بن ماجد : ثلاث أزهار ، ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٩٦ ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٣٤–١٣٥ .

( ٣ ) سونيا هاو : فى طلب التوابل ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

( ٤ ) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ١٩٦ .

( ٥ ) The History of Kilwa, pp. 397, 428.

توطيد العلاقات معهم ، لإمكان الاستفادة منهم ضد عدوه ملك منبسة . ولهذا طلب من دى جاما المرور بمالندى عند عودته من رحلة الهند (١) ليبعث معه وفداً رسمياً إلى ملك البرتغال للتحالف معه (٢) ولهذا كان على ابن ماجد أن يجامل ملك مالندى ويستجيب له فى الاتصال بالقائد البرتغالى .

٣ ــ أو كانت مقابلة ابن ماجد لدى جاما ، بتكليف من ملك مالندى أو استجابة لرجائه ، من أجل تخليص أحد أقرباء ذلك الملك ، الذى كان دى جاما قد اختطفه واحتجزه رهينة إلى أن يدبّر له الملك من يمده بالمعلومات التى تساعده على الوصول إلى الهند(٣) .

٤ ــ أو أنه وافق على الاجتماع بفاسكو دى جاما ــ كما يقول شوموفسكى نقلا عن فران ( Ferrand ) وقبل التعاون مع البرتغاليين نظير مكافاة مجزية (٤) بالإضافة إلى حرصه على إرضاء ملك مالندى ، من أجل ضمان إستمرار العلاقات الطيبة معه (٥) . إلاّ أنه يمكن الرد على موضوع الأجر ــ على ضوء ما تقدم ــ بأنه يتعلق بالملاح الذى توجه فعلا مع البرتغاليين إلى قاليقوط .

وأياً ماكان سبب تلك الزيارة ، فلا شك أن حديثاً دار ــ عن طريق مترجم

---

(١) Strandes : The Portuguese Period in East Africa, pp. 30, 32.

(٢) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية ، ص ٢٠٩ « ( وقيل بأنه عندما عاد دى جاما من رحلة الهند إلى مالندى ، طلب منه ملكها السماح لأثنين من المرشدين بمرافقته إلى البرتغال لإتاحة الفرصة لهما لدراسة الشاطئ وملاحظة معالمه ، ليتمكنا من مساعدة من يأتى من البرتغاليين بعده ، فاستجاب له دى جاما ) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ٢٠٣ ( ذلك أن الصداقة كانت قد توطدت بين القائد البرتغالى وملك مالندى ، وكان من بين الهدايا التى أعدها ملك مالندى كتلة من العنبر الند ، طولها أكثر من متر « وعرضها كعرض خاصرة الرجل » وتبادل دى جاما الهدايا معه ، وقدم له عشرة صناديق ، وهى معظم السلع والهدايا التى كان قد أعدها قبيل رحلة الطواف حول طريق رأس الرجاء الصالح ، ولم يكن قد تصرف فيها ) سونيا هاو : نفس المرجع والصفحة .

(٣) أنظر ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٥٢ .

(٤) Strandes : op. cit., p. 30.

Ferrand : : Art. Shihab Al-Din, B. Madjid, p. 362.

(٥) شوموفسكى : نفس الدراسة التاريخية ، ص ١٤٠ هامش ٥١ ؛

Strandes : op. cit., p. 30.

برتغالى ممن يجيدون العربية — بين القائد البرتغالى وابن ماجد حول الآلات الملاحية التى كان البرتغاليون يستخدمونها ، أو تلك التى كانت مستعملة فى البحار الشرقية ، وأن الحديث تطرّق بالضرورة إلى الموضوع الأساسى وهو كيفية الوصول إلى الهند ، « فعلّمه الطريق » ، « وقال لهم : لا تقربوا الساحل ... وتوغلوا فى البحر ، ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج . فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من سفنهم » . وبهذا تنتهى مهمة ابن ماجد عند حد تقديم تلك المعلومات القيمة لفاسكو دى جاما .

وإذا كنا قد توصلنا بعد هذه الدراسة التحليلية ، إلى هذه النتيجة الجديدة ، فإنه تبقّى لدينا نقطتان ينبغى إستيفاءهما :

أولاهما : — لماذا اقتصر ابن ماجد على تقديم المشورة لفاسكو دى جاما ؟ ، وما هى أسباب عدم قيامه بقيادة الأسطول البرتغالى إلى الهند بنفسه ؟ .

وثانيتهما : — من هو الملاح الذى استعان به القائد البرتغالى ، وتولّى القيام بهذه المهمة ؟

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى ، فإنه يمكن القول بأن ابن ماجد كان موجوداً فى مالندى وقت وصول البرتغاليين إليها ، أو أنه جاءها أثناء تواجدهم فى ميناها . ومن ناحية أخرى ، فإنه إذا كان قد وصلها باعتباره مرشداً لبعض السفن التجارية ، فمن المعروف أن قواعد وأصول الملاحة تقضى بمسئولية الربان الكاملة عن سفينته وحمولتها ، بالإضافة إلى ضرورة المحافظة على أرواح طاقمها وركابها ، وضمان وصول كل ذلك بسلام إلى الميناء المقصود ، كما أن الربّان هو آخر من يتخلى عن سفينته ، ومن أهم واجباته ألاّ يتركها حتى الرمق الأخير (١) . قال بزرك بن شهريار : « نحن الملاحين نصعد على ظهر السفينة ، وبهذا ترتبط بها حياتنا ومصيرنا ، فإذا نجت السفينة نجونا ، وإذا هلكت هلكنا معها » (٢) . والمعلّم ( أى المسئول عن

---

( ١ ) شوموفسكى : نفس الدراسة التاريخية ، ص ٧٩ ، أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار ص ٢١٦–٢١٧ .

( ٢ ) كتاب عجائب الهند بره ، وبحره ، وجزائره ، نشر النص العربى وترجمه للفرنسية P.A. Vandder Lith L'Marcel Devic, Leyde, 1883–1886, p. 220.

قيادة السفينة ، أو الزبان ) هو كالإمام ، ولا يمكنه أينما كان ، أن يحصل على إذن بترك السفينة(١) .

وهكذا فإن تخلى ابن ماجد عن سفينته وترك قيادتها ، وانتقاله لقيادة الأسطول البرتغالى لمما يتنافى مع قواعد وأصول الملاحة .

أما إذا كان تواجد ابن ماجد فى مالندى بغير سفن ، فقد يكون نازلا فى ذلك الوقت ضيفاً على صديقه ملك مالندى ، ومن المحتمل فى تلك الحالة أن يكون قد اعتزل الإرشاد ، ولهذا فإن قراره بعدم قبول القيام بالسفر مع البرتغاليين وقيادة سفنهم ، قد يرجع إلى أنه اكتشف أنهم مسيحيون ، وأنه شك فى نواياهم — لأنهم لم يكونوا حتى ذلك الوقت قد أعلنوا عن أهدافهم — ولهذا كان من السهل عليه الاعتذار بكبر سنه وعدم قدرته على القيام بهذا العمل ، لأنه كان قد تجاوز الستين من عمره(٢) .

أما بالنسبة للنقطة الثانيةوالأخيرة فى هذا المجال ؛ والمتعلقة بالملاح الذى شارك فاسكو دى جاما رحلته الأولى إلى الهند ، فربما كان أحد مساعدى ابن ماجد ، أو غيره ممن تصادف وجوده فى مالندى ، وأنه اضطر إلى تقديمه أو ترشيحه ليتولى القيام بدله بتلك المهمة من أجل التخلص من البرتغاليين الذين لابد وأنهم أصروا على الاستعانة به شخصياً ، ولا شك أنه اختلق المعاذير حتى قبلوا البديل ، مكتفين من ابن ماجد بما أسداه لهم من معلومات أساسية ، سهلت لهم عملية متابعة ما قام به ذلك الملاح الذى إنتهت مهمته الملاحية بالوصول بهم إلى الساحل الغربى للهند عند قاليقوط .

ويبدو أن ذلك الملاح لم يكن على درجة كبيرة من الكفـاءة ، أو لم يكن متمرساً فى الملاحة بين شرق أفريقية وقاليقوط مباشرة ، وأن اعتماد البرتغاليين كان مركزاً على المعلومات التى أمدهم بها ابن ماجد . يؤيد ذلك ما ذكرته المصادر البرتغالية من أن ملاح مالندى قال — عندما أشرفت السفن البرتغالية على الساحل

---

(١) Ferrand : Introduction a l'astronomie nautique Arabe, pp. 182–183.

(٢) أنظر ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ١٧ ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٤١ .

الهندى عند قاليقوط — : « لو أن فنى لايخدعنى ، أمامنا ذى دولة قاليقوط » (١) وهى عبارة محاطة بظلال من الشك وعدم التأكد ، لا يعقل أن تصدر من مثل ابن ماجد الذى كان رائد عصره فى الملاحة عملا ، وصاحب أشمل وأكمل موسوعة ملاحية ، اعتمد فى تأليفها على خبراته الشخصية العملية بصفة خاصة .

ومما يدل على أن ملاح فاسكو دى جاما لم يكن عربياً ، ما ورد صريحاً فى المصادر البرتغالية ، التى أشارت إلى زيارة للأسطول البرتغالى بميناء مالندى ، قام بها جماعة من التجار الهندوس ومعهم أحد مسلمى كجرات ، أطلقت تلك المصادر عليه إسم ( معلمو كانا Malemo Cana ) (٢) أو ( معلمو كاناكا Malemo Canaque ) (٣) ، وقد وجد دى جاما فى ذلك الرجل بغيته ، فاتفق معه على قيادة الأسطول وإرشاده إلى الهند . ومما يذكر أن هذا الملاح أخبر القائد البرتغالى بأن بحارة كمباى — شأنهم فى ذلك شأن جميع بحارة الهند — يسترشدون بالنجوم فى رحلاتهم البحرية(٤) . ومن الملاحظ أن الحديث لم يتطرق إلى الملاحين العرب ، واقتصر على أخبار الملاحة عند الهنود . ولو كان ذلك المرشد عربياً لتضمن حديثه — الذى نقلته تلك المصادر — ما يدل على ذلك .

وعلى الرغم من اعتراف المستشرق الفرنسى فران Ferrand بأنه ليس للمصادر البرتغالية مصلحة فى إخفاء حقيقة أمر ذلك الملاح ، إلا أنه يعجب فى نفس الوقت لكون ما روته يناقض ما يعتقده ، إستناداً لتفسيره لنص النهروالى من أن الملاح الذى قاد البرتغاليين هو الملاح العربى أحمد بن ماجد وليس ملاح كجرات المسلم معلمو كانا ( Cana ) أو ( Canaque )(٥) .

ويعتمد شوموفسكى على ما توصل إليه فران Ferrand ، ويزيد عليه باتهام المصادر البرتغالية بالجهل لنسبتها الملاح إلى أصل هندى(٦) .

---

(١) أنظر ، شوموفسكى : نفس الدراسة التاريخية ، ص ١٤٠ هامش ٤٩ .

(٢) João da Barros : op. cit., pp. 319 f.

(٣) Castanheda : op. cit., p.41, Damiao de Goes : op. cit., p. 87.

(٤) شوموفسكى : نفس الدراسة التاريخية ، ص ٨٥ ،
João da Barros : op. cit., pp. 319.

(٥) Ferrand ; Art: Shihab Al-Din, pp. 362 f.

(٦) شوموفسكى : نفس الدراسة التاريخية ، ص ٧٨ .

على أنه يمكن القول بأن فران Ferrand ومن حذا حذوه ، كانوا متأثرين بدوافع سياسية كشف شوموفسكى نفسه عن جانب منها عندما تطرق إلى أسباب الاهتمام بموضوع الملاحة فى المحيط الهندى ، فى دراسته التاريخية التى ألحقها بتحقيقه لكتاب « ثلاث أزهار فى معرفة البحار » لابن ماجد والتى إنتهى من تجهيزها سنة ١٩٤٧ أى عقب الحرب العالمية الثانية ، حيث قال : « وقلما راودنا حتى الآن التفكير فى هذا الجانب من الثقافة العربية ، فالمحيط الهندى بعيد عنا ، ولم يكن لنا به إهتمام مطلقاً ، وغالباً ما كانت صوره التى وصلت إلينا قائمة على أساس متزن من البحث العلمى ، احتجبت فيه العناصر الشاعرية » . ويستطرد شوموفسكى متهماً الفرنسيين بقوله : « وقد أخذ المبادرة منا فران Ferrand وزملاؤه من العلماء الممثلين للامبراطورية الفرنسية ، والذين ساعدوا على تغلغل نفوذها إلى الشرق . وعلمنا يحركه غرض نبيل نحو شعوب الشرق ، ويجب أن نسمع صوته ، ونعلى كلمته فى مجال أدب الملاحة العربية »(٤) .

ويلقى هؤلاء التبعة على ابن ماجد ، ويتخذ شوموفسكى مما ذكره ابن ماجد من إشارات لأخبار البرتغاليين فى « الأرجوزة السفالية » دليلا على صحة تفسير فران Ferrand لنص النهروالى من أن ابن ماجد هو الذى تولى مهمة إرشاد البرتغاليين ، الذين يعتبر ذكره لهم فى تلك الأرجوزة من باب « تأنيب ضميره المر لما شاهده من سياسة البرتغاليين » (٢) ذلك أن الوجود البرتغالى أثار فيه شعوراً بالمرارة (٣) ، لأن ما حدث أدى إلى فتح باب الإستعمار على مصراعيه ، وكان « بداية الاستعباد الاستعمارى لشعوب الشرق »(٤) .

إلا أنه على ضوء ما سبق من تفسيرنا الجديد لنص النهروالى ، اتضح أن فران Ferrand ومن أخذ عنه ، قد حمّلوا هذا النص فوق طاقته بكثير . كما رفضوا ما أوردته المصادر البرتغالية دون الإستناد إلى أدلة قاطعة أو مقنعة لتبرير

---

(١) نفس الدراسة التاريخية ، ص ٧٦–٧٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٩ ، وانظر ، جورج فاضلو حورانى : نفس المرجع ، ص ٢٣٧ .

هذا الرفض . إذ ليس من المقبول شكلا أو موضوعاً أن يصل الشك فى تلك المصادر دون سند ، إلى هذا الحد . ذلك أن تلك المكاتبات كانت فى حقيقتها تسجيلا لواقع ، ولهذا كانت بمثابة المرشد والمعين للرحلات التالية ، ولو كانت تتضمن أخباراً أو معلومات خاطئة لحدث مالا يحمد عقباه ، ولمنيت الكشوف البرتغالية — فى المياه الهندية — بانتكاسات شديدة ، لاعتمادها على معلومات غير صحيحة . ولكن الوقائع تثبت أن كل رحلة استفادت من التجارب والخبرات السابقة لها ، وأن كل قائد بنى على ما أسسه سابقوه ، مما يدل على صحة معلومات تلك المصادر .

وفيما يتعلق بالملاحين الذين استعان البرتغاليون بهم ، فقد وردت بشأنهم إشارات متفرقة ، ذلك أنه كلما تقدم البرتغاليون إلى منطقة جديدة فى المياه الشرقية ، كان رائدهم البحث عن ملاح خبير بها ، وركزت المدونات البرتغالية على ذكر جنسية الملاحين فى أغلب الأحيان ، وقلما ذكرت إسمه ، كما حرصت على صحة تلك المعلومات ، ونعرض — فيما يلى — لبعض الأمثلة المؤيدة لذلك :

فبعد نجاح دى جاما فى الدوران حول افريقية ، عثر على الملاح الهندى ( داڤان ) (١) بالقرب من موزمبيق ، ولم تتحرج المصادر البرتغالية من التصريح بما كان معتقداً فى بداية الأمر ، من أن الملاح مغربى ( أى عربى ) ، ثم تبينوا أنه هندى من كمباى ، فأشاروا إلى ذلك وذكروا اسمه .

وفى موزمبيق ، أمدهم سلطان الجزيرة بمرشد أوصلهم إلى مالندى(٢) ، ولم تشر تلك المصادر إلى اسمه أو جنسيته .

وعندما وصل بدرو الفاريز كبرال Pedro Alvarez Cabral إلى موزمبيق سنة ١٥٠٠ م حصل على مرشد للاستعانة به فى الوصول إلى مالندى ، لم تشر المصادر البرتغالية إلى اسمه أو جنسيته ، فى حين ذكرت أنه حصل فى مالندى على اثنين من المرشدين من أهل كجرات — لم تذكر اسمهما — وذلك لإرشاد أسطوله إلى قاليقوط(٣) .

---

( ١ ) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ١٩٢—١٩٣ .
( ٢ ) المرجع السابق ، ص ١٩٥—١٩٦ .
( ٣ ) أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٤٥ ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٢٣ ، Kammerer : La Mer Rouge, T. II, p. 92.

وعندما هاجم دالبوكيرك d'Albuquerque جزيرة سقطرة سنة ١٥٠٧ ، ذكرت تلك المصادر أنه أمسك ملاحاً عربياً من هرمز اسمه عمر ، واستولى منه على خريطة ملاحية هامة ، من تصميمه ، لشواطئ جنوب الجزيرة العربية والخليج(١) .

وعندما وصل دالبوكيرك إلى جزائر ملوك ، استعان بواحد من تجار جاوه ، لم تذكر المصادر إسمه ، ليعلم البرتغاليين طريقة التعامل مع أهالى هذه الجزر(٢) .

وفى سنة ١٥١٣ استعان دالبوكيرك بمرشد هندى — كان قد أسره من ميناء شول — لم تذكر المصادر إسمه وقد تولى ذلك الملاح مهمة إرشاده من جزيرة سقطرة إلى عدن(٣) .

وعندما أراد دالبوكيرك اكتشاف الخليج الفارسى سنة ١٥١٤ ، استعان بمرشدين من هرمز ، لم تذكر المصادر أسماءهم(٤) .

أما الملاح الذى قاد دالبوكيرك عبر المحيط فى طريق عودته من الهند إلى موزمبيق ، فكان عربياً ولم تشر تلك المصادر إلى إسمه(٥) .

ولما توجه لوبو سواريز Lopo Soares فى حملته على البحر الأحمر سنة ١٥١٧ ، وكان قد تمكن من توطيد علاقاته بالأمير مرجان الظافرى — حاكم عدن من قبل السلطان الطاهرى الظافر عامر الثانى — أبدى هذا الحاكم استعداده لإرضاء البرتغاليين وتلبية رغباتهم ، حتى أنه عرض مفاتيح البلد على القائد البرتغالى . ولكن ذلك القائد كان قد ركز اهتمامه وقتئذ على تحقيق مفاجأة الأسطول المصرى

---

(١) أنظر ، أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٥٧ ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٣٦ ، Kammerer : op. cit., p. 82.

(٢) سونيا هاو : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

(٣) Kammerer : op. cit., p. 185.

(٤) Danvers : The Portuguese in India, being a history of the rise and decline of their Eastern Empire, London, 1894, Vol. I, pp. 303 f. Kammerer : op. cit., p. 206.

(٥) Kammerer : op. cit., p. 105.

فى مياه جدّة ، ولذلك اكتفى بطلب مرشدين لقيادة أسطوله فى البحر الأحمر ، فبادر حاكم عدن على الفور بالاستجابة إليه وتلبية طلبه ، وأمده بأربعة من أكفأ المرشدين (٣) ، لم تذكر المصادر البرتغالية جنسياتهم أو أسماءهم ، أما المصادر اليمنية فإنها وإن لم تحدد عددهم أو أسماءهم ، إلاّ أنها ذكرت أنهم من أهل الشام ، وأن الأمير مرجان سلمهم للبرتغاليين ، وأكرههم على العمل فى الأسطول البرتغالى بالقوة « كفاية لشر الفرنج ( البرتغاليين ) »(١) .

وهكذا يتضح من تلك الأمثلة ، أن تركيز المصادر البرتغالية ، كان منصباً — فيما يتعلق بالمرشدين الذين استعان البرتغاليون بهم — على ذكر جنسياتهم أكثر من الاهتمام بأمر أسمائهم .

وعلى ذلك يمكن الأخذ بما ذكرته المصادر البرتغالية ، من أن ملاح فاسكو دى جاما كان ملاحاً هندياً . خاصة وأن تلك المصادر لم تكتف بنسبته إلى الهند بصفة عامة ، إذ لو حدث ذلك ، فربما كان فى ذلك نظر ، إلاّ أن الأمر لم يقتصر على ذلك ، أو على أنه من كجرات ، بل بالتحديد من إحدى مدنها وهى كامبى (٢) مما يدل على الدقة ، خاصة وأن الذين أنيط بهم مهمة تسجيل تلك الأحداث إنما دونوا ما شاهدوه دون أن يكون لهم حق الحذف أو الإضافة أو التغيير أو التبديل ، حتى إذا ما اتضح خطأ ما دونوه ، لم يحذفوه ، وعادوا إلى ذكر ما تبين لهم صحته طبقاً للواقع .

أما فيما يتعلق بما أطلقته المصادر البرتغالية ، من أن ذلك الملاح هو ( معلمو كانا Malemo Cana ) أو ( معلمو كاناكا Malemo Canaque ) ، وأن ذلك ليس اسماً له ، فيبدو أن البرتغاليين إكتفوا بتعريف الملاح بصفته ، باعتباره ربّان سفن (الجنك Junk ) الصينية الضخمة ، ومن أصحاب الخبرة البحرية الكبيرة بالمياه الشرقية الى الصين ، أو لكونه خبيراً بالملاحة الفلكية ، طبقاً للتفسير السنسكريتى للفظ ( Canaque ) وهو ما استلف أنظارهم باعتبار ذلك أسلوباً جديداً عليهم ، مما جعلهم يهتمون بإطلاق هذا المصطلح ،الذى أصبح علماً عليه ، وبذلك لم يعد اسمه

---

(١) Kammerer : op. cit., pp. 266 f.

(٢) باخرمة : قلادة النحر ، لوحة ١٢٠٥ .

(٣) Strandes : The Portuguese Period in East Africa, p. 30.

يشكل لديهم أهمية تذكر ، إذا ما قورن بصفته كملاّح يستخدم النجوم فى العمليات الملاحية. ، أو كربّان لأضخم السفن العاملة فى تلك المنطقة وقتئذ .

ونخلص من ذلك كله إلى التوفيق بين الروايات ، وإثبات صحة ما أوردته المصادر ، عربية كانت أم برتغالية .

فطبقاً لرواية النهروالى ينحصر دور ابن ماجد فى إسداء النصح وتقديم المشورة للقائد البرتغالى فاسكو دى جاما ، وإمداده بالمعلومات التى تساعد على سلامة سفنه ، وتعليمه الطريق قولا ووصفاً ، وليس عملا وقيادة .

أما الملاح الذى قام بمهمة إرشاد الأسطول البرتغالى إلى الهند ، فهو ذلك الملاح المسلم الذى أشارت إليه المصادر البرتغالية ، وذكرت أنه من مدينة كمباى بإقليم كجرات بالهند ، وإن أغفلت تلك المصادر إسمه ، إكتفاء بصفته كملاح متمرس فى الملاحة الفلكية ، أو كقائد للسفن الصينية الضخمة العابرة للمحيطات .

## المصادر والمراجع

### أولا : العربية .


إبراهيم على طرخان ( دكتور ) : مصر فى عصر المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٥٩ .

أحمد دراج ( دكتور ) : المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٦١ .

إيضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى . محاضرات الجمعية التاريخية المصرية ١٩٦٨ .

أحمد بن ماجد : ثلاث أزهار فى معرفة البحار ، تحقيق ونشر تيودور شوموفسكى ، ترجمة وتعليق د . محمد منير مرسى ، القاهرة ١٩٦٩ .

أحمد مختار العبادى ( دكتور ) : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ١٩٦٨ .

تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، بالاشتراك مع الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، بيروت ، ١٩٧٢ .

ألدو ميللى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ومحمد يوسف موسى ، القاهرة ١٩٦٢ .

أنور عبد العليم ( دكتور ) : ابن ماجد الملاح ، سلسلة أعلام العرب ، العدد ٦٣ ، مارس ١٩٦٧ .

الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٣ ، يناير ١٩٧٩ .

بانيـــكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ١٩٦٢ .

بزرك بن شهريار : كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزائره ، نشر النص العربى P.A. Vandder Lith وترجمه إلى الفرنسية L' Marcel Devic ، ليدن ، ١٨٨٣ — ١٨٨٦ .

ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، القاهرة ١٩٣٨ .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة القاهرة .

جمال زكريا قاسم ( دكتور ) : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة ١٩٧٥ .

جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة د . يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٨ .

جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية ، ترجمة يوسف كمال ، الطبعة الأولى ١٩٢٧ .

الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، مخطوط رقم ١٢٦٥ بمكتبة بلدية الاسكندرية .

درويش النخيلى ( دكتور ) : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، طبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٤ .

الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليبزج ١٩٢٣ .

ابن الديبع : قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، مخطوط رقم ١٣٥٥ تاريخ بدار الكتب المصرية .

السلاوى : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .

سونيا هاو : فى طلب التوابل ، ترجمة محمد عزيز رفعت ومراجعة د . محمود النحاس ، الألف كتاب ، رقم ٩٨ .

شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ، ترجمة د . أحمد عزت عبد الكريم ود . توفيق إسكندر ، ١٩٤٨ .

ابن شاهين الظاهرى : كتاب كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راويس ، باريس ١٨٩٤ .

الشبلى اليمنى : السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر ، مخطوط رقم ٢٠٣٣ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية .

الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، القاهرة ١٩٥٦ .

أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ .

كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ١٩٦٥ .

محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ١٩٥٠ .

بامخرمة : قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، مخطوط بمكتبة يني جامع بالآستانة رقم ٨٨ ، مصور بدار الكتب المصرية برقم ١٦٧ تاريخ .

تاريخ ثغر عدن ، تحقيق أوسكار لوفغرين ، ليدن ١٩٣٦ .

المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٤ تحقيق د . سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ .

النهروالى : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، أشرف على طبعه حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ .

ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ١٣٠٩ هـ .

يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق د . سعيد عاشور القاهرة ١٩٦٨ .

## ثانياً : المصادر و المرجع الأجنبية :


Barros : The Book of Duarte Barbosa, ed. M. Longworth Dames, Hakl. Soc., 1921.

Castanheda : Historia do descrobimento e Conquista da India pelos Portuguezes, 1883, B. K I .

Damiao de Goes : Chronica do Sernissimo Rei D. Manuel, Coimbral, 1970, Vol. I.

Danvers : The Portiguese in India being a history of the rise and decline of their Eastern Empire, London, 1894.

De la Ronciére (Ch.) : Le découverte de l'Afrique au Moyen Age, Le Caire, 1925–27.

Dozy (R.) :Supplément Aux Dictionnaires Arabes, (Reproduction de l'Edition Originale De 1881), Beyrouth, 1968.

Ferrand : Introduction à l'astronomie nautique Arabe, Paris, 1928.

— Le Pilote Arabe de Vasco de Gama et les instructions nautiques des arabes au XVe Siècle, Annales de géographie, Paris, 1922.

— Shihab Al-Din Ahmad B. Madjid (ENC. of Isl.).

— L'élément Persan dans les textes nautiques Arabes de XVe et VXIe siècles (J.A.), Vol. 204, 1924.

Ingham (Kenneth) : A History of East Africa, ed. Longman.

Ingrams (W.) : Zanzibar, its history and its People, London, 1931.

Joao da Barros : Decada Primeira de Asia (The little ed. 1778), BK. IV, Ch. VI

Kammerer : La Mer Rouge, L'Abyssinie et l'Arabie depuis L'Antiquité. Essai d'hist. et géogr. hist., 1929–1935.

Kindermann (H.) : Schiff im Arabischen untersuchung Uber Vorkommen und bedeutung der Termini, Zwickau, i, sa, 1934.

Lamb (N.J.) : Collins Portuguese Gem Dictionary, 1974.

Lane–Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1936.

Lewis (B.) : Egypt and Syria (The Cambridge Hist. of Islam), Camb. 1970.

Macro (E.) Yemen and the Western World Since 1571, London, 1968.

Pearce (F.B.) : Zanzibar, The Island Metropolis of Eastern Africa, 1967.

Richard F. Burton : First Footsteps in East Africa or an Exploration of Harar, London, 1856.

Serjeant (R.B.): The Portuguese off the South Arabian Coast, Oxford, 1963.

Stevenson : The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.

Strandes (J.) : The Portuguese Period in East Africa, Trans. by Wallwork, Nairobi, 1961.

Strong (Arthur) : The History of Kilwa, ed. from an Arabic MS. (J.R.A.S.), London, 1895.

Wiet (G.) : Histoire de la Nation Egyptienne, T. IV, (L'Egypte Arabe), Paris, 1937.